جامعـــــــــــــة بسكـــــــــــرة

كليـــــــــة الآداب واللغـــــــات

قســم الآداب واللغة العربية

محاضــرات في مقيــاس النقد الأدبــي القديم

لطلبــة السنــة الأولى ليسانس (ل م د)

المحاضــرة العاشرة بعنــوان: الوضــوح والغمــوض

إعداد الدكتورة: سامية راجح

السنة الجامعية: 2020-2021

مفهوم الوضوح:

1- لغة:

"**وُضُوح:** مصدر وَضَحَ، صفة أو حالة ما هو واضح، ما هو مُعبَّر عنه من دون إبهام أو غموض"[1]. اشتهر طه حسين بوضوح عبارته، **وضوح** صورة: ظهور الخطوط والملامح بدقَّة.

2- اصطلاحا:

إن الوضوح لا يعني السطحية كما يعلم البعض فهو يستعمل بعض الإيحاءات والإشارات لأن لغة الشعر، تقوم على الخيال والتجسيد، يقول في ذلك ابن سينا: «الشعر كلام مخيل مؤلف من أقوال موزونة متساوية وعند العرب مقفاه».

فالوضوح في الفكر العربي لا يعني السطحية والتعبير المباشر، فهو ليس ساذجا، فإن الوضوح هو من صفات البيان العربي والمقصود منه بلوغ النص للمتلقي وفهمه دون خلط في معناه، "فالوضوح هنا هو استخدام الألفاظ المتداولة والتي يسهل على المتلقي فهمها بأسلوب يكون جيد يستطيع القارئ من خلاله تحديد معاني تلك الكلمات وما تؤول إليه"[2].

[1] لسان العرب، ابن المنظور، ت أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، ج5، ص365.

[2] ينظر، ابن رشيق: العمدة، ت محي الدين، ط5، ج1، د ت، ص89.

النقاد المؤيدون لقضية الوضوح:

وذهب في ذلك الأصمعي الذي أيد الوضوح فيقول « فيقول البليغ من طبق المفصل، وأغناك عن المفسر »[1].

فهو يرى أن الوضوح ضروري لفهم المعنى ووضوح المغزى، والابتعاد عن عناء تكلف بتفسير والتأويل...

لكن الأصمعي لا يؤيد الوضوح الساذج، فهو يراه شرط ضروري لكن مع توفر العطاء في الشعر وبذل جهد لإصابة الغرض وتشويق المتلقي (القارئ)...

كذلك الجاحظ الذي يرى أن « **مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان**»[2]. فهو يدعو في هذا الرأي إلى إظهار المعاني المقصودة بلغة واضحة مفهومة ويوافقه الرأي قدامة ابن جعفر « من عيوب الشعر الانغلاق وتعذر العلم بمعناه »[3]. حيث اعتبر غموض وإبهام في المعنى يعد عيبا من عيوب الشعر التي من الممكن أن تنقص من قيمة هذا الشعر والإبداع.

النقاد المعارضين للوضوح:

هناك العديد من النقاد الذين فضلوا الغموض بكونه يزيد قيمة المعنى والجمال الفني، من بينهم: حازم القرطاجني: «إن المعاني إذا كانت أكثر مقاصد الكلام ومواطن القول تقتضي الإعراب عنها والتصريح عن مفهومتها فقد يقصد في كثير من المواضع إغماضها وإغلاق أبواب الكلام دونها، وكذلك-أيضا- فقد نقصد تأدية المعنى في

---

(1) الأصمعي: حجة الأدب ولسان العرب، تركي بن الحسن الدهماني، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص130.

(2) الجاحظ: البيان والتبيين: تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998، ج1، ص137.

(3) قدامة ابن جعفر: نقد الشعر، ت: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، د، ت، د، ط، ص159.

عبارتين، إحداهما واضحة الدلالة عليه، والأخرى غير واضحة الدلالة لضروب من المقاصد، فالدلالة على المعاني إذن على ثلاثة أضرب، دلالة إيضاح، دلالة إيهام، ودلالة إيضاح، وإيهام معا»[1]، حيث جعل الدلالات تختلف وتتنوع حسب الاحتمالات.

وهناك أيضا ابن أبي الحديد الذي قال «وأفخر الشعر ما غمض فلم يعطك إلا بعد مماطلة»[2]، اعتبر جودة الشعر تزيد في غموضه، وكلما كثرة المعاني ودلالات في الشعر زادت قيمته.

مفهوم الغموض:

أ- لغة:

استخدم مصطلح الغموض في عدة معاجم عربية، ففي لسان العرب في مادة غمض ذكرت على أنها أسماء معاني، وتعني الدقة واللطف، عرفه الزبيدي في مادة (غ م ض) قائلا: "الغامض: المطمئن المنخفض من الأرض، الجمع: غوامض، كالغمض بالفتح... والجمع: غموض وأغماض... وقد غمض المكان يغمض غموضا ... والغامض: الحسب غير المعروف، جمعه: أغماض، كصاحب: أصحاب"[3].

أما الزمخشري قال: "يقال للأمر الخفي والمتعاص: أمر غامض. وكلام غامض: غير واضح، وهذه مسألة فيها غوامض، ومكان غامض وغمض: مطمئن: سلكوا غموض

---

[1] حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ت محمد الحبيب بن خوجة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1986م، ص172.

[2] ابن أبي الحديد، الفلك الدائر، ت: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض، ط2، 1403هـ، ص281.

[3] الزبيدي محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار فراج، مطبعة حكومة الكويت، ج1، الكويت، ص364-365.

الفلاة. وغمض في الأرض غموضا إذا ذهب وغاب. ودار فلان غامضة: ليست بشارعه، وهي التي تنحت عن الشارع، وحسب غامض: مغمور غير مشهور"[1]

كما يقول فيروز آبادي عن الغموض: "الغامِضُ: المُطْمَئِنُّ من الأرضِ، ج : غَوامِضُ، كالغَمْضِ ج :غُموضٌ وأغْماضٌ، وقد غَمَضَ المكانُ غُموضاً، وغَمُضَ غُموضَةً وغَماضَةً، والرجُلُ الفاتِرُ عن الحَمْلَةِ، وخِلافُ الواضِح من الكلام"[2].

ب- إصطلاحا:

لم يستطع الغموض أن يحدد بسبب تعدد مفهوماته، فالشعر العربي قديما لم يخلو من الغموض إلا أنه كان قليل الاستخدام مقارنة مع الوضوح الذي اعتبر السمة الغالبة على الشعر آنداك، يقدم عز الدين اسماعيل تعريفا للغموض «صفة خيالية تنشأ قبل مرحلة التعبير المنطقية، أي قبل مرحلة الصياغة النحوية»[3]، فهو يرى أن الغموض هو غموض الفكرة وعدم وضوحها قبل أن تكتب "مرحلة الكتابة".

حيث ذهب منظروا الأدب العربي من بينهم مسعد بن عبد العطوي في تعريف الغموض قائلا: « الغموض يمكن أن يعني عدم القطع فيما تعنيه أو تراه لأن تعني أشياء كثيرة أو احتمال أن تعني هذا أو ذاك أو كليهما معا، وحقيقة إن جملة لها عدة معان»[4]. فهو يرى أن الغرض من الغموض يكمن في تعدد المعاني ودلالات وكثرة احتمالات.

---

[1] أبي قاسم بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، ج1، ط1، بيروت، 1998، ص712.

[2] فيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق مكتبة التراث، ط8، بيروت، لبنان، 2005، ص649.

[3] عز الدين اسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره، دار الفكر العربي، ط3، بيروت، 1966م، ص189.

[4] مسعد بن عبد العطوي: الغموض في الشعر العربي، فهرسة مكتبة الملك الوطنية أثناء النشر، ط2، السعودية، 1420هـ، ص71.

النقاد المؤيدين لقضية الغموض:

يكون الغموض فنا إبداعيا وسمة جمالية في النص اتبعها العديد من النقاد والكتاب بحيث اعتبروها تؤثر على المتلقي، فيقول في هذا الصدد، محمود درابسة "والغموض المعني هنا هو ما شدك إلى حوار معه، واستفز مشاعرك وعقلك من خلال غموض عباراته وصوره وموسيقاه، إذ يتجسد الغموض في ثراء النص الإبداعي، وتعدد دلالاته وقراءاته، مما يخلق نوعاً من اللذة الحسية والذهنية تجاه خبايا النص واللامتوقع أو اللامنتظر في صوره وجمالياته الفنية. وهذه الحال تخلق نوعاً من التواصل والألفة بين النص والقارئ الذي يتلقى النص، ويشعر أنه بحاجة إليه مهما كان غامضاً ليطفئ من خلاله لهيب مشاعره، وطموحه الذهني"[1].

أما ابن الأثير يقول: «لمعول عليه في تأليف الكلام من المنثور والمنظوم وإنما حسنه طلاوته، فإذا ذهب ذلك عنه فليس شيء»[2]، حيث اعتبره ابن الأثير من خلال هذا القول أنه ركيزة أساسية من ركائز الجمال الفني في الشعر.

نجد ابن طباطبا أيضا من مؤيدي الغموض في الشعر بحيث، اعتبره من أهم ملامح الجودة وسمة حسنة فيرى «تعريض خفي يكون خفائه أبلغ في معناه التصريح الظاهر»[3]، فهو يرى أن تلميح أبلغ من التصريح، بدفق لشوق ويثير القارئ لاكتشاف المجهول من المعنى.

---

(1) محمود درابسة: التلقي والإبداع–قراءة في النقد العربي القديم، دار جرير، ط1، عمان، 2010م، ص125.

(2) ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر، تحقيق أحمد وبطانة بدوي، مطبعة الرسالة، د ت، ص359.

(3) ابن طباطبا: عيار الشعر، ت: عبد العزيز المانع، دار العلوم، 1405هـ، ص24.

آراء النقاد المعارضين لقضية الغموض:

من أبرز البلاغيين الذين عارضوا قضية الغموض في الشعر القديم:

أبي عثمان الجاحظ الذي قال: «لا خير في كلام لا يدل على معناك ولا يشير إلى مغزاك وإلى العمود الذي إليه قصدت والغرض الذي إليه نزعت»[1] أي أن من شروط الفصاحة "الوضوح".

أما ابن الرشيق فقد اشترط للشاعر المجيد أن "يلتمس من الكلام ما سهل ومن القصد ما عدل ومن المعنى ما كان واضحا جليا يعرف بديا"[2]

حيث يرى ابن الرشيق أن الغموض قد يصعب عملية الفهم للقارئ هذا يعد عيبا للشاعر، فالشاعر المجيد هو من نجد كلامه سهل ومفهوم، ذا معنى واضح، يسهل على المتلقي استيعابه.

[1] الجاحظ: البيان والتبيين، ت: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، ط4، 1985، ج1، ص168.

[2] ابن رشيق: العمدة، ت: محمد محي الدين، عبد الحميد، ط5، ج1، د ت، ص89.